مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

جوانب من التراث المادي لواحات المغرب الصحراوي
قصر السلطان بواحة تغجيجت أنموذجًا

د. رشيد صديق
باحث متعاون مع المركز الوطني للنقوش الصخرية
وزارة الثقافة
المملكة المغربية

مُلَخّص

*تميزت واحة تغجيجت كغيرها من الواحات الصحراوية المغربية خلال أهم مراحلها التاريخية باستقرار بشري قديم، بصم مظهرها الطبيعي ببقايا أثرية تنطق بعبقرية ساكنتها المحلية. وبحكم موقعها الاستراتيجي فإنها شكلت محطة هامة للقوافل التجارية الصحراوية الواقعة على الطريق الساحلي التي تزود فيها القوافل بالميرة والسلع قبل التوغل نحو الصحراء. وتعتبر عمارة وتراث الواحات من البقايا الأثرية والشواهد المادية التي تحكي أحداثًا تاريخية عرفتها هذه المجتمعات الواحية عبر مراحل متتالية امتدت منذ فترات ما قبل التاريخ واستمرت إلى المرحلة الوسيطية والحديثة. على العموم، تزخر واحة تغجيجت بتراث معماري متنوع ومتعدد الأشكال والأنماط. ومن أهم الأشكال المعمارية الموجودة بها نجد نظام "القصور" الفريد من نوعه. إذن، سوف نحاول في هذا المقال العلمي التطرق إلى دراسة أثرية تحليلية ووصفية لمعلمة تاريخية والتي حيرت الكثير من الباحثين المغاربة والأجانب ألا وهي قصر السلطان: **تيكمي أوگليد**. وتجدر الإشارة، أن إشكالية التأريخ لقصر **تيكمي أوگليد** مازالت مطروحة إلى حدود الساعة. ففي غياب أبحاث أركيولوجية معمقة وشاملة، فإننا لا يمكن الحسم في الكرونولوجية التاريخية لهذه المعلمة الأثرية. فإلى جانب الروايات الشفوية المحلية والمصادر المكتوبة والأبحاث الأركيولوجية السابقة، فقد طرح خلال السنوات الأخيرة نقاش معرفي حول ارتباط القصر بفترة استقرار اليهود بواحات تغجيجت خاصة بواحة تيخبرين. فإلى أي حد يستقيم هذا الطرح؟ إذن، إن الاعتماد على معيار المقارنة بين خصوصيات العمارة المحلية والرسمية أمر صعب للغاية، حيث يطالها أحيانًا تأويلات خاطئة. لهذا يبقي الاجتهاد العلمي لتأريخ المعلمة مفتوحًا في وجه الباحثين، في انتظار وثائق تاريخية وأعراف محلية أو أبحاث أثرية شاملة ومعمقة والتي ستكون مفتاحًا أساسيًا لفك العديد من القضايا الشائكة والمتضاربة حول تاريخ القصر السلطاني "**تيكمي أوگليد**" بواحة تغجيجت.*

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٨ أكتوبر ٢٠٢٠
تاريخ قبول النشر: ١١ نوفمبر ٢٠٢٠

كلمات مفتاحية:

القصر؛ التراث المعماري؛ الواحة؛ تيكمي أوكليد؛ التراث والآثار

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.200635

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

رشيد صديق. "جوانب من التراث المادي لواحات المغرب الصحراوي: قصر السلطان بواحة تغجيجت أنموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الثالثة عشرة- العدد الخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢٠. ص ٢١ – ٢٩.

Official website: http://www.kanhistorique.org
Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: sadik.rachido@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Inquiries: info@kanhistorique.org

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّوريةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

تتـوفر واحـة تغجيجـت كغيرهـا مـن الواحـات الصـحراوية المغربية على تاريخ وتراث غني ومتعدد الأشكال والروافد، حيث تجسد العناصر والمكونات التراثية جانبًا من الهوية التاريخية والحضارية للإنسان الواحي الذي ساهم في إنتاج وتراكم هذا الإرث التاريخي والحضاري عبر مراحل تاريخية. ويقوم هذا التراث على جذور ضاربة في عمق التاريخ الثقافي والاجتماعي الصحراوي، فهو نتاج مشترك بين الإنسان والطبيعة، يمتد متناميًا عبر الزمان والمكان على مجال جغرافي واسع، ويعبر عن ذاته وأصالته وخصوصياته المتنوعة والفريدة.

وتكتسي أهمية الموضوع في الحضور القوي لمعلمة "قصر السلطان" وأدورها الاقتصادية والتجارية والتاريخية بواحات واد نـون خاصـة والصـحراء عمومًـا في الدراسـات الأكاديميـة، الشيء الذي دفعنا إلى البحث عن المكانة التاريخية والأثرية لهذه المعلمة. كما أن اهتمام البعثات العلمية الأركيولوجية المغربية والأجنبية بدراسة المواقع الأثرية بالجنوب المغربي وبـواد نـون خصوصًـا، سـاهم بشـكل أسـاسي في تحفيزنـا إلى البحث والتنقيب عن هذه المعلمة الأثرية "قصر السلطان"، ونفض الغبار عن أهم معالمها الحضارية والتاريخية القديمة المتنوعة والمتعددة الروافد والمتجذرة في الذاكرة الجماعية للإنسان الواحي.

إجمالاً، تزخر واحة تغجيجت بتراث عمراني ومعماري متنوع ومتعدد الأشكال والأنماط. إذن، سوف نحاول في هذا المقال العلمي التطرق إلى دراسة أركيولوجية تحليلية ووصفية لمعلمة تاريخية والتي حيرت الكثير من الباحثين المغاربة والأجانب ألا وهي قصر السلطان: تيكمي أوكليد

أولاً: حول مفهوم القصر

توجد بالواحات المغربية مباني تتسم بالعظمة والسمو، وتتشكل أساسًا من بنايات معمارية تعرف بالقصر. وكلمة قصر مفادها المنزل، وقيل كل مبنى من حجر، فسمي بذلك لأنه تقصر في الحرم[1]. اصطلاحًا، يقصد بالقصر صنف من السكن التقليدي تشتهر به الواحات الجنوبية الممتدة بين الأطلس وتخوم الصحراء. فهو تجمع سكني متلاحم[2]، يشكل بذلك مدينة أو قرية تشغل مساحات كبيرة[3]. وتقطن فيه مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية مختلفة تجمعهم مصالح وأهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية مشتركة[4]. ويوجد في أماكن استراتيجية مرتفعة تحيط به أسوار سميكة تحتوي على مداخل وأبراج للمراقبة[5].

وتتوفر الواحات والصحارى على قصور محصنة تدعى تيكمي (Tigmui)أشبه بنظام أكادير وايغرم[1]. ويمثل القصر نمطا معماريا فريدا من نوعه سوءًا من حيث الشكل والمحتوى. ويتكون من مجال مشترك قوامه السور الخارجي والأبواب الرئيسة والساحات العمومية والأزقة ودار القبيلة والمسجد والمصلى ومجال خاص يشمل المنازل وملحقاتها وغيرها من المرافق[7]. كما عرف أيضًا، بتلك الوحدات السكنية التي تراعي مجموعة من المتغيرات الايكولوجية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية من حيث الشكل والمورفولوجية والمساحة ومواد البناء[8]، ويوفر الترابط الاجتماعي الغائب في غيرها من أماكن الاستقرار[9].

ثانيًا: الموقع الجغرافي

يقع القصر على قمة جبل سراس المنتمي لسلسلة جبال باني المطلة على واحات تغجيجت من الجهة الجنوبية، بين إحداثيات "29°4'14.56 شمالاً، و"9°24'02.87 غربا على ارتفاع ألف متر (تقريبا ٩٩٠م) من القمة الجبلية المشرفة على الواحة خاصة من الناحية الشرقية. فهي (القمة) عبارة عن جرف صخري يطل على الجهات الأربعة للواحات. وينتمي القصر حسب بعض الدراسات إلى نطاق شبكة القلاع المحصنة في الجنوب المغربي[10].

ويضيف ريكارد بروسبير (Ricard Prosper) أن قصر **تيكمي أوكليد** يقع على "مرتفع يتشكل من ممر صعب التسلق في الجانب المقابل للفتحة التي يجري فيها وادي صياد، تستغرق الرحلة إلى الأعلى أكثر من ساعة لكن تمكنا من اكتشافه، كما في الطائرة، وفي جميع المنخفضات المحيطة والتي تفصل الكتلة الجبلية على طول حدود مائلة حادة. وفي الجنوب الغربي نخيل تغجيجت، أما في الجنوب الشرقي نجد معدر ادولكْان، وفي اتجاه الشمال الشرقي أيت حربيل وسهل أسيف خيبر. وأخيرًا، بلدة إذ براهيم. وعلاوة على ذلك، لا شيء يحجب للعين في جميع الجوانب، ولا أثر للحياة، يمكن أن تقول إنه يشبه منظر سطح القمر، فالمساحة الشاسعة والسكون جد مؤثر[11]".

ثالثًا: إشكالية التسمية

يطلق بعدة تسميات على هذه البناية المعمارية ومنها: **تيكمي أوكليد**، أكْادير أوفلا، دار السلطان، أكْادير إزناكن، قصر السلطان، تيكْمي نبرتقيس. وهي تسميات متعددة لمعلمة

أثرية واحدة. إلا أن التسمية الأكثر استعمالاً وتداولاً بين أهالي الواحات وباقي المناطق المجاورة هي **تيگمي أوگليد** (Tigmui o Aguelid). في حين يستعمل الباحثون في تاريخ المغرب والجنوب المغربي بالخصوص تسمية دار السلطان.

وتتكون التسمية **تيگمي أوگليد** من كلمتين: الأولى، تيگمي أي الدار أو البيت. والثانية، أگليد أي الملك أو السلطان. ومن هذا المنطلق فإن أول الإشارات المعرفية المشتقة من خلال هذه التسمية هي قيمة ومكانة هذه المعلمة الأثرية من حيث الرمز والدلالة. فمن الناحية الرمزية، توحي بوجود معلمة أو بناية خاصة لأحد ملوك أو رؤساء القبائل المتعاقبة على حكم الواحات. أما من الناحية الدلالية، فالأهمية التاريخية والاجتماعية للبناية تؤشر على وجود نظام وتراتبية اجتماعية داخل الواحات خلال العصور الوسطى من جهة. ومن جهة ثانية توحي على السلطة السياسية والإدارية التي لعبتها هذه المعلمة في تاريخ واحات واد نون والواحات المغربية الصحراوية[١٢].

فمنذ الوهلة الأولى، تدل تسمية الموقع على وجود قصر ضخم له قوة وعظمة وحمولة تاريخية واجتماعية ضاربة في تاريخ واحات تغجيجت. ولقد ساعدتنا الدلالة الطوبونيمية في معرفة أصلها الامازيغي واكتشاف العديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاشتها واحات تغجيجت خلال المرحلة الوسيطية. ومن هنا نود طرح عدة تساؤلات: هل فعلا هذه البناية استقر فيها السلطان؟ ومتى شيدت؟ ولأي غرض خصصت له؟ ولماذا تم اختيار هذا الموقع الاستراتيجي الصعب؟

رابعًا: الدراسة الأثرية

٤/١-المعطيات التاريخية

ترى بعض الدراسات والأبحاث بأن القصر المدروس يعود تاريخه إلى المرحلة المرابطية خاصة فترة حكم علي بن تاشفين التي عرفت ببناء القلاع والحصون في وجه الموحدين[١٣]. وفي هذا السياق يؤكد الباحث مصطفى ناعمي أن دراسة الطبيب دغكسي ـ الميدانية تؤشر أن القصر معلمة أثرية مرابطية يرتبط اسمها بالسلطان الصنهاجي، مما يوحي على تواجد إزناكن أي قبيلة زناكة الصنهاجية بتغجيجت[١٤]. كما ترى الباحثة الفرنسية جاك موني، بأن قصر **تيگمي أوگليد** معلمة مرابطية الأصل[١٥]، حيث قام المرابطون ببناء معامل إنتاج المعادن بها. إضافة إلى مجموعة من الأبراج والحصون بالواحات المجاورة[١٦]. ومن جهة أخرى، يرى الضابط الفرنسي دولاريول أن قبيلة أيت حربيل ساهمت في تشيد القصر (أگادير زناگز) خلال تواجد إگيزولن بالواحات أي قبيلة جزولة[١٧]. ففي تغجيجت يوجد قصر شيد خلال القرن الثاني عشر، أقيم أثناء عهد المرابطين مع إسطبلاته وملحقاته (خزان المياه، صهاريج...) قرب حي الخزفيين[١٨]. كما أضاف ألفرد لوشاتولي بأن قصر تغجيزت هو أكبر بناية معمارية توجد بجانب وادي صياد، وهو بمثابة مركز قبيلة إذ براهيم سابقا[١٩].

٤/٢-التحريات الاركيولوجيا والأثرية

وحسب الدراسات والحفريات الأثرية الحديثة المنجزة خلال السنوات الماضية، ترى بأن قصر **تيگمي أوگليد** شيد خلال المرحلة الموحدية[٢٠]، وهذا الأمر يؤكده الباحث يوسف بوكبوط، حيث يرى بأن التصميم الهندسي لباب الرواح بمدينة الرباط يشبه كليا تصميم باب القصر السلطاني "**تيگمي أوگليد**" بواحة تغجيجت المركز. وفي مقابل هذا، ترى بعض الدراسات أن تاريخ بناء البناية يرجع إلى سنة ١١٥١-١١٥٢م، وهي مرحلة تزامنت مع بداية حملة عبد المؤمن الموحدي ضد المجالات الواحية الصحراوية[٢١]. إن هذا الاتجاه الأخير، خلق نوع من الاختلاف بين الآراء السابقة، حيث تزكي جل الدراسات السابقة الموقف الأول، في حين أن الدراسات الأركيولوجية ترى بأن المعلمة الأثرية المدروسة ترجع إلى الحقبة الموحدية. فإلى أي حد يمكن اعتبار القصر معلمة موحدية الأصل؟

٤/٣-الفرضيات

نكاد لا نختلف تمامًا مع المعطيات التاريخية السابقة، فقد تكون فرضية المد الموحدي ووصولهم إلى الواحات واستقرارهم بها زمن عبد المؤمن الموحدي، هي الدلالة الوحيدة لإنتساب هذه المعلمة إلى المرحلة الموحدية، بحيث جهز هذا الأخير خلال سنة ١١٤٦م جيشا إلى نول لمطة بقيادة عبد الله بن أبي بكر ونيكي وعبد الله وعمن بن ميمو[٢٢]... وضرب أهوكار سلطان لمتونة ووحد الحسين بن سليمان صاحب تاعكيزت[٢٣] أي تغجيجت حاليا. إذن، يمكن القول بأن المعلمة الأثرية مرابطية الأصل وموحدية بين التعديلات والتغييرات التي أضافها الموحدون على الهندسة المعمارية للقصر، حيث من المعروف تاريخيا، أن الموحدين عملوا على طمس بعض المعالم المرابطية وإطفاء معالم جديدة لجعل البنايات المعمارية المرابطية موحدية بامتياز. وتبقى هذه المعلمة التاريخية حسب الدراسات الميدانية (دغكسي، ريكارد، ناعمي) مرابطية من حيث الأصل والبناء، وموحدية من حيث الشكل الهندسي (بوكبوط)[٢٤].

٤/٤-الرواية الشفوية

ترجع الروايات الشفوية بأن تاريخ بناء المعلمة تزامن مع فترة صراع بين حاكم واحات تغجيجت وبعض المجموعات البشرية المستقرة بأسفل وادي صياد والذي دام لسنوات طويلة. ومع مرور الوقت، فكر الحاكم أي السلطان ببناء هذه المعلمة فوق جبل سراس والاستقرار بها لسيطرة على المجال الواحي الصحراوي. وبعد أزيد من عشر سنوات، رجع الصراع بين القبيلتين "ففكر السلطان بتسمين ثور وأطلقه في اتجاه وادي صياد، وعند وصوله قامت القبيلة المستقرة بأسفل الوادي بذبحه، فإذا بهم وجدوه أكل كمية كثيرة من الشعير والقمح الصلب، فقالوا: "ما دام السلطان يتوفر على مخزون مهم من الحبوب، فإننا لا نستطيع مواجهته لسنوات طويلة. فقررت القبيلة بوقف الصراع والحصار على قصر **تيكْمي أوكْليد**، تم هاجرت إلى نواحي سوس"[٢٥].

٥/٤-وصف المعالم والبقايا الأثرية

تنتصب المعلمة الأثرية "تيكمي أوكليد" على مساحة كبيرة، تتخذ شكلاً هندسيًا رباعي الأضلاع، ويحيط بها سور عالي يتراوح علوه أربعة أمتار. وتقدر مساحتها الإجمالية ب (120m×155m=18600m[2]). كما تتوفر على مدخلين رئيسيين: الباب الأول، أمامي وهو الرئيسي للقصر والذي يطل على واحة تغجيجت المركز وتكْموت. فهو باب ضخم غير نمطي من حيث الحجم والقياسات، وفريد من حيث الهندسة والزخرفة المعمارية.

أما الباب الثاني فهو خلفي صغير الحجم، يطل على سهول ومنبسطات واحة تيخبرين وتينزرت وأداي أيت حربيل وأيت إلول. بالإضافة إلى أبراج للمراقبة والحراسة التي تبلغ تسعة أبراج مستطيلة ومربعة الشكل موزعة على سور البناية بشكل منظم، بحيث تتوسط البوابة الرئيسة للقصر برجين بارزين في حين أن الأبراج المتبقية مقسمة على السور[٢٦]، ومنها ثلاثة أبراج صغيرة الحجم للسور الموالي لجهة الشمال الغربي والمطلة على منخفض زناكْن آو زناكْز، والبرجين المتبقين في جهة الجنوب الشرقي للقصر.

أما كسوة الباب، فهي مكونة من الأحجار المنجورة المتناسقة وقد أعطت تشكيلة زخرفية رائعة للقصر. والواجهة الأمامية مركبة من أحجار منقوشة لأنها وضعت بتصميم هندسي دقيق ورفيع، الشيء الذي سمح بتشكيل زخرفة متناسقة ودقيقة. كما توجد بقبب المدخل الرئيسي أشكال هندسية شبه أسطوانية، أضافت جمالية معمارية خاصة للمدخل. ومن هذا الأخير، يمتد دهليز يظهر كبهو يتخذ شكلاً مستطيلاً، توجد به بوابتان واحدة من الجهة اليمنى والثانية من الشمال. وتسمح هذه الأخيرة بولوج الدرج الأيسر قصد الصعود إلى السطح. ومن المدخل الرئيسي غرفة صغيرة تتجه نحو البهو عبر دهليز يتوفر على بابين مقوسين.

وتوجد بالقرب من البوابة الداخلية للقصر خزانات مائية أو ما يُسمي محليًا بتنوطفين (Tinoutfiyine). يبلغ عددها ثلاث خزانات مغطاة على شكل أسطوانة. وهي عبارة عن غرف محفورة في باطن الأرض مشيدة بشكل احترافي ومتقن، تبلغ مساحتها (190m)[٢]. وهي متصلة بقنوات مائية داخل القصر وخارجه نحو الصهريج الخارجي ولها ستة فتحات متنوعة الأشكال ومدخلين رئيسين لاستقبال المياه، مبنية باستعمال الحجارة والجير والجبس. وتختلف الغرفة الثالثة عن السابقتين من حيث المساحة، لكنها شيدت بنفس التقنية وهي الحجارة المتراصة. وقد طلي سطح الخزانات بالجير والجبس لمنع التسربات والتشققات الخارجية.

ولا شك أن عنصر الماء لعب دورًا مهمًا في زيادة تحصين القصر من خلال تزويده بالخزانات المائية والاحتفاظ بالماء وتوفيره لفترات الجفاف والصيف وأثناء الحروب، وربما وظفت خنادق محفورة خارج أسوارها تملأ بالماء عند الحصار أو الهجوم لزيادة التحصين[٢٧]. وقد تبين لنا ذلك انطلاقا من وجود قنوات صغيرة لتصريف مياه الخزانات نحو الصهريج الخارجي. ففي الجهة الشمالية من القصر مازالت آثار غرف ومساكن موجودة جلها مبنية بالحجارة ومزودة بقنوات لتصريف مياه الأمطار نحو الخزانات، لكنها غير واضحة التصميم والمعالم الهندسية.

ومن الملاحظ أن سور القصر يحمل الكثير من علامات البناء المرابطي والموحدي في نفس الوقت. إذ يبلغ طوله الإجمالي ٦٥٠ متر، وعرضه مترين وارتفاعه ما بين ٤ إلى ٧ أمتار. ويتشكل من جدارين مبنيين بواسطة الحجارة والطين، وقد ارتبطت بقوة الملاط المستعمل يتوسطهما ممر صغير نحو أبراج المراقبة. يبدو لنا من خلال الزيارة الميدانية أن نظام الأسوار بالقصر يتشابه كثيرًا مع الأسلوب الموحدي ذو التحصينات الدفاعية القوية.

وبخصوص تقنيات ومواد البناء فهي طبيعية ومحلية. فالقصر كله مبني بالحجارة المنجورة، باستثناء جدار صغير مبني بالطوب المحلي قاعدته من الأحجار. وقد استعملت مادة الجبس في تزين السقوف والواجهة الأمامية للباب الرئيسي للقصر، والجير في تغطية الجدران وتسقيف البناية لمنع تسربات المياه

وطلاء الممرات نحو الأبراج. وتنقسم تقنيات البناء بالقصر إلى ثلاث تقنيات رئيسية: أولا، تقنية تشكيل الحجارة، وتتجلى في بناء الأبواب الرئيسة والثانوية. وثانيًا، تقنية بناء القباب، وهي متطورة من حيث الشكل، وتوجد بقبب المدخل الرئيس وبالخزانات المائية وهي نصف أسطوانية ذات أضلاع حادة. وأخيرا، تقنية بناء الأسوار والغرف بالحجر المنجور المتوسط والغير منظم بواسطة الملاط الممزوج بالطابية والجير. وقد تم اختيار هذه التقنية لتناسقها مع بيئة الواحات وقوتها وتأقلمها مع الظروف الطبيعية الصحراوية.[٢٨]

إن التأثير المرابطي حاضر بقوة في عمارة القصر. وهناك مؤشرات دالة على حضور الجذور التاريخية المرابطية والموحدية بهذه المعلمة في آن واحد. ففي يومنا هذا من الصعب جدًا الحسم في تاريخ المعلمة انطلاقا من المقارنة بين المآثر المرابطية والموحدية، فربما قد تكتنف هذه المعلمة خبايا وألغاز أخرى، قد تساهم الحفريات الأثرية في معرفة جزءًا منها وتجاوز تلك الفرضيات والمقارنات العامة من حيث هندسة الأبواب أو أسلوب البناء والتقنيات.

وخلال التحريات الميدانية، تمكنا من العثور على مجموعة من القطع الفخارية العادية المحروقة والمزخرفة أمام السور الشمالي للقصر[٢٩]، وبالضبط قرب الصهريج المائي الداخلي من الجهة الشمالية الغربية للمدخل الرئيس، وهي مزججة ومحلية الصنع. إضافة إلى بقايا صهر المعادن في الجناح العلوي للقصر وخارج السور الخلفي. وهي إشارات حية عن وجود حي الخزفيين وأفران المعادن والفخار داخل القصر أو معامل إنتاج المعادن التي أكدتها موني خلال دراستها[٣٠]. كما توجد في الطابق الأوسط من القسم العلوي الشمالي بناية ضخمة طولها (١٦) متر وعرضها (٨) أمتار، وهي ملتصقة بالقسم السفلي عبر ممر ضيق ومنعرج، ومن المؤكد أن تكون بناية السلطان وأسرته وبعض أعوانه. وأخيرًا، في الطابق العلوي، يوجد فضاء صغير نفترض أنه مخصص لصنع السلاح والقذائف والبارود والبنادق المستعملة ضد الهجومات.

عمومًا، لقد لعب القصر دورًا مهمًا في إطفاء شعلة عصيان جزولة المناصرين للمرابطين من جهة ومراقبة عبور القوافل التجارية من ناحية أخرى، حيث تقع المعلمة الأثرية على محور تمدولت- نول لمطة الذي سيصبح بعد عصيان محمد أمركال خلال (٥٤٨هـ/١١٥٣م)، تمدولت- تكاوست محورًا تجاريًا قويًا[٣١]. كما استطاع أصحاب السلطة بالقصر الاستفادة من الضرائب المفروضة على القوافل التجارية العابرة للواحات المدروسة في اتجاه الصحراء.

وبحكم الموقع الاستراتيجي للقصر فإنه اطلع بمهام وأدوار متعددة خلال العصر الوسيط منها: مراقبة العبور خاصةً الطريق الرابطة بين تمدولت بالمواقع الغربية لدرعة ونول لمطة وتكاوست عبر إفران الأطلس الصغير بواسطة أبراج للمراقبة الخارجية منها برج أدرار سراس وأدرار ادوطاطاس. وكذا الطريق المتجه جنوبًا نحو أوليل غربًا ووادان شرقًا، عبر تيندوف وزمور وإيجليل وصولا إلى أوداغوشت وتمبكتو، حيث كان النشاط التجاري في بلاد الواحات خلال الفترة الوسيطية يعتمد على تجارة المعادن والملح والزراعة..، وهذا ما يفسر قوة المرابطين في السيطرة على هذه المجتمعات الواحية الصحراوية اجتماعيًا، اقتصاديًا، وسياسيًا وعسكريًا. إلى جانب هذا، لعب قصر **تيگمي أوگليد** خلال المرحلة الموحدية دورًا مهمًا في استقبال الخلفاء الموحدين أثناء الحملات العسكرية أو خلال زياراتهم لواحات تغجيجت وواد نون والتي أسفرت في التحكم على مناحي المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالواحات وبالأطلس الصغير[٣٢].

خَاتِمَةٌ

يكتسي موضوع القصور بواحات تغجيجت وواد نون والصحراء عمومًا، أهمية بالغة في دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي للواحات منذ العصور القديمة إلى المرحلة الراهنة من جهة. كما يعكس المراحل التاريخية لتطور المجتمع الواحي الصحراوي، فهو أكبر مؤشر عن وجود البقايا المادية الشاهدة على مختلف الأحداث التاريخية والاجتماعية المرتبطة بالعمارة الواحية الصحراوية من جهة ثانية.

عمومًا، يمكن اعتبار المعلمة الأثرية "تيڭمي أوڭليد" من بين القصور الصحراوية الفخمة والمواقع التاريخية والتجارية القديمة. فهي جانب من العمارة المشيدة بالحجارة[٣٣] بدل التراب المدكوك، الشيء الذي ساهم في بقائها قائمة ومتماسكة تقاوم الظروف الطبيعية والمناخية لقرون من الزمن وطريقة البناء الاحترافية، حيث يظهر لنا ذلك من خلال البناء الصخري المنظم للسور الخارجي والداخلي للقصر.

وتجدر الإشارة، أن إشكالية التأريخ لقصر **تيڭمي أوڭليد** مازالت مطروحة إلى حدود الساعة. ففي غياب أبحاث أركيولوجية معمقة وشاملة، فإننا لا يمكن الحسم في الكرونولوجية التاريخية لهذه المعلمة الأثرية. فإلى جانب الروايات الشفوية المحلية والمصادر المكتوبة والأبحاث الأركيولوجية السابقة، فقد طرح خلال السنوات الأخيرة نقاش معرفي حول ارتباط القصر بفترة استقرار اليهود بواحات تغجيجت خاصة بواحة تيخبرين. فإلى أي حد يستقيم هذا الطرح؟ إذن، إن الاعتماد على معيار المقارنة بين خصوصيات العمارة المحلية والرسمية أمر صعب للغاية، حيث يطالها أحيانًا تأويلات خاطئة. لهذا يبقى الاجتهاد العلمي لتأريخ المعلمة مفتوحًا في وجه الباحثين، في انتظار وثائق تاريخية وأعراف محلية أو أبحاث أثرية شاملة ومعمقة والتي ستكون مفتاحًا أساسيًا لفك العديد من القضايا الشائكة والمتضاربة حول تاريخ القصر السلطاني "**تيڭمي أوڭليد**" بواحة تغجيجت.

الملاحق (الصور والأشكال)

المدخل الرئيس للقصر

الباب الخلفي للقصر

مخطط قصر تيڤي أوڤليد

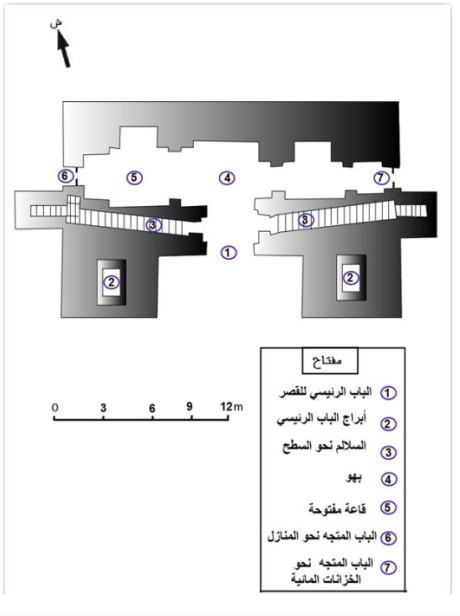

التصميم الخاص للمدخل الرئيس

الخزانات المائية للقصر"تنوطفين"

بقايا مساكن وغرف داخل القصر

الصهريج المائي للقصر

نماذج من القطع الفخارية المزخرفة والعادية

مقتطفات من الحفريات الأثرية المنجزة من طرف البعثة الاسبانية المغربية بتيكّمي أوكّليد سنة ٢٠٠٥

الأشكال الهندسية المتواجدة بعقود وقبب القصر

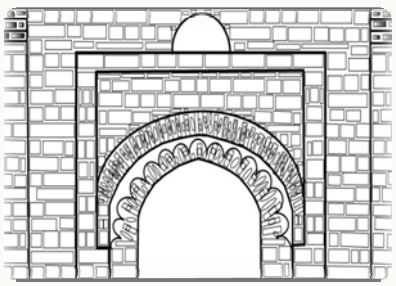

البوابة الرئيسة للقصر: الصورة والشكل الهندسي

الاحالات المرجعية:

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة القصر، ج ٦، المطبعة المصرية، مصر، ١٣٠٠هـ/ ١٨٧٧م، ص ٤١١.

(٢) أحمد مولود أيده الهلال، **مدن موريتانيا العتيقة: قصور ولاتة وودان وتشيت وشنقيط**، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص ٣٥.

(3) Nadir Marouf, **Eléments d'analyse des ksour, espèces maghrébin pratiques enjeux**, acte colloque de taghit 23-26 Novembre 1987, ENAG, éd. Algérie 1989, p 85.

(4) R, capot Rey, **Greniers domestique et grenier fortifies au Sahara le cas de Gourara**, travaux de l'institut de recherches sahariennes, T 14, 1956, p 1151.

(5) L, leluraux, **Le Sahara, ses oasis, instruction de Léon carrée**, édition Bacouier, Alger, 1934, p 47.

(٦) عبد العزيز بنعبد الله، **سوس بوابة الصحراء (سوس الأقصى وسوس الأدنى: المغرب كله)**، بدون طبعة ودار النشر، ٢٠٠٤، ص ٣٧١.

(٧) محمد أيت حمزة، **مادة القصر**، معلمة المغرب، ج ١٩، ص ٦٦٣٨-٦٦٣٩.

(٨) معلمة المغرب الأقصى، **مادة أنواع السكن بالصحراء**، ج ٢٦، ملحق ٣، دار الأمان الرباط، ط ١، ٢٠١٤، ص ٦٢-٦٣.

(٩) محمد أمراني علوي، **القصور بالجنوب المغربي**، مجلة المناهل، ع ٨٨، يناير ٢٠١١، ص ٢١٣.

(10) Patrice Cressier, **Dar al-sultan, les confins de l'empire almohade**, dossier d'archéologie, N° 365, 2013, p 28.

(11) Ricard Prosper, **Une forteresse maghrébine de l'Anti-Atlas (XIIe siècle),** dans IV(e) Congrès de la Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord, Alger, 1939, p 641-650.

(12) Ricard Prosper**, op.cit,** p 642.

(١٣) انظر **معلمة المغرب الأقصى**، ج ٤، ص ١١٢٧.

(١٤) مصطفى ناعمي، **مادة تاغاجيجت**، معلمة المغرب، ج ٦، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا ١٩٩٢، ص ٢٠٦٩.

(15) Jacques Meunier, **Le Maroc Saharien Des Origines Au XVI siècle**, vol 1, 1982 p 277.

(16) Ibid., p ١٢٥.

(17) De la reulle, **Les Tekna Berbérophones du haut oued Seyed les id Brahim et leurs tributaires,** C.H.E.A.M, université de Paris, N457, 1941. p 4.

(18) Lévi-Provençal Evariste, **L'histoire des Almohades**, Paris, 1928, p 194.

(19) Alfred Le chatelier, **Tribus du sud Ouest marocain Basins côtiers entre Sous et Draa,** Parais, 1891, p 75.

(٢٠) استنتاجات توصلت إليها الحفريات الأثرية التي قام بها فريق مشترك مغربي إسباني في علوم الآثار والتراث تحت إشراف الأستاذ يوسف بوكبوط على امتداد مجرى واد نون خلال السنوات الماضية.

(21) Patrice Cressier**,** op.cit., p 643.

(٢٢) حسن حافظي علوي، **واحات بلاد المغرب من القرن ٤هـ / ١٠م إلى القرن ٨هـ / ١٤م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ، ج ٢، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص ٢٠٢.

(٢٣) أبي بكر الصنهاجي (البيدق)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدية**، ص ٧٢.

(٢٤) تم تأكيد هذه المعلومة خلال عملنا الميداني أثناء إنجاز الرفوعات الهندسية بالقصر.

(٢٥) رواية شفوية ح، م، ٦٥ سنة، واحة تغجيجت، أبريل ٢٠١٤.

(٢٦) يرى ابن خلدون أن الأسوار تعد شرطا ضروريا لإقامة المدن والقصور وهو يوازي اختيار الموقع المرتفع بوفرة الماء. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، (المقدمة)، مكتبة المدارس، دار الكتاب بيروت، ١٩٦١، ص ٦١٧.

(٢٧) لبنى زبير، **الماء والحرب بالمغرب زمن السعديين (٩١٦-١٠٦٩هـ/ ١٥١٠-١٦٥٩م)**، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٦، ص ٢١٢.

(٢٨) مينة المغاري، **مدينة موكادور-السويرة: دراسة تاريخية وأثرية**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص٤٩٧.

(٢٩) يؤكد الأستاذ عبد الله فيلي أن صناعة الفخار تكون بالقرب من سور المدينة أو خارجه لكونها صناعة ملوثة. انظر، عبد الله فيلي، عز الدين كرا، **معطيات أثرية حول المجال العمراني لمدينة أزمور في العصر الوسيط**، ندوة أعمال أزمور: حاضرة دكالة، جامعة شعيب الدكالي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة أعمال وحدات التكوين والبحث، ع ٣، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٨٣.

(30) Jaques Meunier, **op.cit**., p 125.

(٣١) الجماعة القروية تغجيجت، **التشخيص التشاركي المجالي**، ٢٠٠٩، ص ٦٥.

(٣٢) الجماعة القروية تغجيجت، **المرجع السابق**، ص 66-٦٥.

(٣٣) عبد العزيز توري، **العمارة المغربية مادة البناء في بعض استعمالاتها عبر العصور**، مجلة المناهل ع ٧٣-٧٤، وزارة الثقافة المغربية، ذو الحجة ١٤٢٥ الموافق فبراير ٢٠٠٥، ص٢٥.